النموذج والمثال في تحليل النص النقدي في ضوء علم النفس

د. بابكر الأمين الدرديري*

أد. أحمد محمد الحسن شنان**

الملخص

استهدفت هذه الورقة التعرف على مفهوم النموذج والمثال – الذي برز كاتجاه نقدي – وذلك من خلال تمازجه مع أدبيات علم النفس الحديث. وفي منحى تحليلي، تعرضت الورقة ابتداءً إلى مفهوم النموذج والمثال ، وظهوره في أمثلة من الإنتاج الأدبي في ظل تداعيات نفسية وذهنية شكلت اتجاها نفسيا له أبعاد معرفية ووجدانية وسلوكية تركت بصمات واضحة ، في تكوين الحكم النقدي ، ثم حاولت الورقة من بعد ذلك تفسير علاقة مفهوم الذات بإصدار الحكم النقدي ومدى صلة ذلك بعملية التذكر ودور الذاكرة فيه . خلصت الورقة إلى أن هناك اتصالاً قوياً بين مفهوم النموذج والمثال كاتجاه نقدي وبين علم النفس في مجالاته المعرفية.

* أستاذ الأدب والنقد المشارك ــ كلية التربية ــ حنتوب ــ جامعة الجزيرة.

** أستاذ علم النفس كلية التربية ــ حنتوب –جامعة الجزيرة.

مقدمة :

يدخل هذا العنوان بعمق في اتجاهات النقد الأدبي الحديث، ليؤسس لاتجاه نقدي حديث يتمازج وعلم النفس، مما يؤطر له كاتجاه نقدي ظهر في نهايات القرن العشرين، منطلقاً من الملاحظات والمشاهدات والتعاملات المتعارفة في علاقات الأفراد وتعاملهم فيما بينهم ومنتظما في سياق نفسي وذهني يبلور مواقف الفرد واتجاهات أحكامه النقدية التي تتنزل على جوانب شتى للحياة المتمازجة في حركتها نحو الاتساق والتكامل. تستعرض هذه الورقة مفهوم النموذج والمثال من حيث تعريفه وبروزه كاتجاه نقدي حديث من خلال تلمسه في بعض المواقع من الإنتاج الأدبي، مع محاولة التعرف على التداعيات النفسية التي ألقت بظلالها على إصدار الحكم النقدي تجاه النص الإبداعي خاصة أن هذا الحكم يصدر عن اتجاه نفسي له مكونته المعرفية والوجدانية والسلوكية التي تتكامل في ظل بيئة اجتماعية ومادية لها سماتها الخاصة وتأثيراتها القوية على تكوين شخصية الفرد ومفهومه لذاته، كما تسعى الورقة أيضاً لتحري دور الذاكرة وعملية التذكر في تكوين الحكم النقدي على النص الأدبي.

يرتبط هذا البحث بما نشعر به نحو بعض القضايا والأحكام النقدية التي تصدر عنا عندما نريد أن نعبر عن تصور أو تعبير تجاه نص معين محدد أو مبهم. و هنا نشعر أو نحس بأن هنالك عدة مقومات أو إحساسات تتشابك أو تتقاذف لتطفو على الذاكرة الإنسانية لتشكل في مجملها موقفاً إدراكياً له تداعياته الذهنية والوجدانية تجاه هذا النص في حكم نقدي معبر أكان بالقبول أو الرفض واللامبالاة ونشعر لحظتها أننا نصدر في ذلك عن بعض الحيثيات تجاه هذا النص، وقد تكون تلك الحيثيات مدركة أو مبهمة (شعورية أو لا شعورية) لحظة الحكم النقدي. ولكن في واقع الأمر أن ذلك المدرك النفسي والحكم عليه ليس وليد لحظته تلك إنما هو نتيجة تراكمات ترائية قديمة أو ملاحظات ومشاهدات سابقة أو خبرات وتعاملات ماضية تأصلت داخل النفس والوجدان واستقرت فيه مما يشكل قدرا كبيرا تجاه النص المحدث الذي نريد الحكم عليه. ولذلك نجد ارتباطا وثيقا بين النقد الأدبي وعلم النفس العام في مثل هذه القضايا النقدية، الأمر الذي دفعنا إلى أن نفرد هذا العنوان ونحاول قدر المستطاع أن نبرهن على رسوخ قدمه في التعامل النقدي وأحكامه مما يشكل لدينا نوعاً محدثاً في قضايا النقد الأدبي الذي نعايشه الآن بما استقر لدينا بأن النقد الأدبي هو إبداع أدبي أو فني من مصدره وليس تقييما أو تفسيرا للنص المبدع فقط بل إنه تجاوز ذلك حتى إبداعاً مثله ومثل غيره من

فنون الإبداع الإنساني في تعاملاته المختلفة، لأن الإبداع الأدبي أو الفني ما هو إلا حالة نفسية من المبدع للنص تجاه قضايا إنسانية محددة في ظروفه وأحواله المختلفة، ولذلك فإن كل كلمة فيه لها دورها في التعبير عن حقيقة الانعكاس الذي أحدثه النص المبدع أيا كان في الأعماق النفسية والشعورية للإنسان وتثير لديه ذكريات ومشاهدات أو تداعيات استكانت واستقرت في النفس منذ أمد طويل وأزمان بعيدة وحقب ماضية. وبهذا فإن الدراسات النفسية تشرع باباً واسعاً في مجال النقد الأدبي، وتعطي قدراً كبيراً من التفسير والتحليل والدراسة، بما يحقق للنقد الأدبي أن يكون إبداعا وليس تقييماً أو تفسيراً أو تحليلاً فقط للنص المبدع.

مفهوم النموذج والمثال:

النموذج والمثال هو مفهوم أخذ مكانه الصحيح في مجال النقد الحديث وهو يعني في حقيقته الصورة الذهنية المتكاملة بأبعادها المعرفية والشعورية التي تكونت لدى الفرد من خلال تفاعله مع بيئته الاجتماعية والثقافية والروحية والتراثية، وأنشأت حالة وجدانية فكرية معينة لديه يستطيع من خلالها تحليل النص الإبداعي وتذوقه وتقويمه.

مما دفعنا إلى ذلك افتراضات متنوعة ومتعددة، أطلت بوجودها في بعض المواقف والتلاحمات في تعاملات الحياة الاجتماعية، وفي تدافعها وفي حركة اختلاطها المستمر في شئون المعيشة والسياسة والتربية، بل حتى في مواقف الأفراد وتفاعلهم مع الآخرين، وفي ملاحظاتهم وأحكامهم، وهذه كلها مثيرات بيئية تتبلور في عملية الإدراك التي بدورها تؤدي لنوع الاستجابة السلوكية الحسية منها والمعنوية. فمثلا نجد أنفسنا في بعض الأحيان عاجزين عن تفسير بعض المواقف والأحكام النقدية التي نصدرها نحو نص ما أو شخوص ما، بما يثير في النفس تساؤلات جمة وافتراضات عدة، نقف عند بعضها عاجزين في تفسيرها، وتفسير الحكم الذي أصدرناه عنها، مما يؤجج فينا نوعاً من الحيرة والدهشة، وربما في بعض الأحيان نوعاً من الارتباك والعجز ومرد ذلك ربما يكون غموض الموقف الإدراكي والصورة الذهنية المتكاملة.

أمثلة لموضع النموذج والمثال:

قد ينبعث في نفس الفرد شعور مبهم غامض، لا يستطيع له تفسيراً، أو يدرك له كنها... وعرف ذلك في تفسيرات النقد الحديث بالغموض والشعور المبهم الذي ينتاب الناقد أو المبدع فيعبر عنه من غير أن يدرك تفسيراً، وقد يلحق بذلك مفهوم الضياع الذي يشعر به الإنسان

عندما تلفه الغربة الحقيقية أو غربة الروح والبدن والنفس .. فالنفس الإنسانية في مثل هذه المواقف تجتر أحلامها وآلامها دون أن تجد لذلك تفسيراً يضع حداً لمعاناتها[1] خاصة أنها ستظل تعيش في حدود نظامها الضيق، ولا يستطيع أن تخرج من ذلك لما يكتنفه من غموض وضباب يلفه ويصعب تفسيره، ولا تملك إلا التعبير عن ذلك في مفهومه المبهم ، تمثيلا ذلك يقول الشاعر المصري أحمد عبد المعطي حجازي في قصيدة بعنوان (لا أحد[2]) .

رأيت نفسي أعبر الشارع عاري الجسد أغض طرفي خجلاً من عورتي
ثم أمده لأستجدي التفاتاً عابراً نظرة إشفاق على من لا أحد
فلم أجد ...
إذن ....
لو أنني – لا قدر الله ــ أصبت بالجنون وسرت أبكي عارياً بلا حياء
فلن يرد واحد علي أطراف الرداء
لو أنني – لا قدر الله – سجنت ثم عدوت جائعاً يمنعني من السؤال الكبرياء
فلن يرد بعض جوعي واحد من هؤلاء

نجد في بعض الأحيان عجزاً جزئياً أو كلياً في تعاملنا مع النص المبدع وتفسيره وإصدار الحكم النقدي عليه، دون أن يكون لنا إحساس بهذا العجز في إصدار الحكم النقدي، أو التعامل مع النص المبدع، وقد نشعر بإحساس غامض، وبشعور مبهم تجاه هذا النص، لأنه خاطب جانباً في الوجدان مشبعاً بالأحاسيس والتجارب أو مغلفاً بالرفض، ولكننا في كل ذلك نحس به إحساساً دون أن ندري لذلك سبباً.

وهذا الإحساس الذي ينبعث فينا هو أحد إسقاطات مفهوم النموذج والمثال، ولا ندري له تفسيراً أو تعليلاً منطقياً نحو النص المبدع أو النص المشاهد والملاحظ أيا كان، يتمثل هذا الإسقاط بوضوح تام عند شعراء المهجر، الذين دفعت بهم ظروف الهجرة إلى مهاجرهم التي هاجروا إليها، في أميركا الشمالية والجنوبية وإلى كندا، هروباً مما كانوا يعانونه من ظلم واضطهاد في أوطانهم، وما كانوا يعانونه من فقر وتعاسة في مجتمعاتهم، هذه الظروف ولدت لديهم إحساساً غامضاً نحو كثير من إبداعهم النصي الأدبي والفني. الذي حاولوا أن يبثوا من

[1] عز الدين إسماعيل: قضايا الشعر المعاصر
[2] أحمد عبد المعطي حجازي: ديوان (لم يبق إلا الاعتراف)

خلاله شعورهم ذلك وإحساسهم الذي كانوا يعانونه، كذلك فإنهم بذلك يعطون نظرة صادقة لشعورهم، المبهم ذلك نحو الحياة والمجتمع والإنسانية عموماً، وهذا يعطينا مثالاً حياً للنموذج والمثال، انطلاقاً في تصويرهم لمعاناتهم تلك في كل ظروفها في غربتهم التي كانوا يعايشونها، في ذلك يقول إيليا أبو ماضي:

نحن في الأرض تائهون كانا قوم موسى في الليلة الليلاء

ضعفاء محقرون كأنا من ظلام والناس من لألاء

فاغتراب القوى عز وفخر واغتراب الضعيف بدءُ فنائي

فالنموذج والمثال الذي كان قائماً في نفوسهم، قد انكسر وتلاشى في هذ الظروف الاجتماعية التي يحيون فيها، وظل التعبير عن النموذج والمثال قائماً، نفوسهم دون أن يصلوا إلى حقيقته وتمثله في الواقع المعاش، فعبروا عنه في إحساس إنساني رائع، لعله يتحقق في الواقع الاجتماعي للإنسانية .. في ذلك يقول ندوة حداد:

إن رأيت الفقير يهتز ضعفاً سائلاً من يمر عوناً وعطفاً

ورأيت البخيل يجتاز خطفا لا يبالي وليس يبسط كفا

لا تذمي ميوله وشعوره فهو بلا وجدان

وإذا كان النقد الأدبي الحديث يعتبر إيداعا في ذاته فإن هذا الإبداع النقدي يتطلب قدراً من المعرفة والدراية والخبرة التي توصل إلى إصدار الحكم النقدي الصحيح، فقد تجاوز النقد اليوم التقييم للنص الأدبي في مجال الآداب والفنون، وأصبح يتعامل مع النص أيا كان، مادياً محسوساً أو معنوياً (عياد: 1987)، فالنص بهذا المفهوم يشكل نوعاً من إبداعات الناقد أو المبدع في تعامله مع النص المبدع الخلاق في جوانب الحياة أو الطبيعة عموما، أو الكون أو في جميع الأعمال الأدبية الفنية الإبداعية التي تتحدث عن النفس الإنسانية وتعكس في إيداعها هذا حالات هذه النفس الإنسانية بكل أحوالها وتقلباتها وقضاياها في المجتمع وفي علاقاتها مع الآخرين.

ولذلك نجد أن أكثر الاتجاهات النقدية الحديثة والمذاهب جنحت نحو أن تعكس رؤاها المستمدة من تطور الحياة والمجتمع وحالاته النفسية في عصرنا هذا، وتبلور ذلك بموقف ظروف الناس وواقعهم المعاش وعلاقاتهم الاجتماعية وظروفهم الحياتية والمعيشية وما يستجد

من ظروف وملابسات قسرية حاكمة أو مفتعلة وعفوية أو مقصودة ومتعمدة، أن كانت في حالة الوعي أو اللاوعي، أو كانت صادرة عن فكر ورؤية مشبعة بكل تناقضات العصر وأحداثه ومداخلاته وعلاقاته وظروفه ومحنه، في السياسة أو الاقتصاد أو الثقافة أو الفكر أو التربية أو ظروفه الخاصة به القارة فيه وفي وجدانه وإنسانه وبيئته ومجتمعه التي تحمل في طياته قيم التراث والحضارة والطبائع والموروث الاجتماعي والثقافي والتربوي وما يتشكل فيه من قضايا، أو ما يفرضه الواقع من ظلم وقسوة واستغلال وقهر وذل وتسلط في بعض ظروفه وأحواله، أو في انبهاره وصدماته الحضارية المتشعبة المصادر والدلالات، التي يعجز الفكر والذهن والنفس عن مجاراتها أو تفسيرها أو الوقوف عندها، عجزا تاما في بعض الأحيان، أو جزئيا في أحيان أخرى، وقد يولد ذلك العجز إحساساً بالغربة الذهنية أو النفسية أو الشعورية. مما يدفع الفرد إلى الخروج عن ذلك بانفعالات نفسية قاهرة صادمة. بل ربما وصل بذلك إلى الشطح والانفكاك عن الواقع والحياة السوية المستقرة.

ولهذا يأتي تفسير الناقد أو تحليله للنص المبدع معبرا عن استعداده الذهني والنفسي تجاه النص في إبداعه النقدي وهو بذلك يكون ناقداً مبدعاً لا مصوراً للنص فحسب. وبذلك يظل النص حياً متجدداً في كل أحواله. وسيبقى النقد إبداعاً أدبياً وفنياً مثل كل إبداع آخر في الأدب والفن، بأنواعه المختلفة وقضاياه المتشابكة وتظل شخصية الناقد بكل سماتها النفسية والوجدانية والذهنية هي محور ذلك الإبداع المتجدد **الحكم النقدي على النص الإبداعي:**

يجمل بنا هنا أن نضع بعض افتراضات تلقي ضوءً يوضح جوانب هذا الموضوع، فمن ذلك مثلاً:

هل الأحكام النقدية التي نطلقها على النص الإبداعي تأتي من فراغ أو تنبع من خيال؟ أم هي تصدر عن إدراك ووعي وتفهم لما يصدر عنا من أحكام؟ وهل هذه الأحكام التي نصدرها على النص قاطعة أم هي نسبية؟ وهل نجد لها أبعادا راسخة في نفوسنا ؟ أم هي وليدة اللحظة الآنية ؟

ربما تتعدد الافتراضات والأسئلة في هذا الجانب أو المجال، والسبب في ذلك يرجع إلى أننا في بعض الأحيان نصدر أحكاما نقدية تجاه نص معين دون أن يكون لنا سابق تعامل في ذلك، وربما يكون هذا النص المبدع أو المشاهد آنيا ووليد لحظته، أي لم يكن لنا به معرفة أو تعامل معه من قبل، وهذه معضلة نقدية في إصدار الحكم أو التقييم النصي تحتاج إلى معالجة وتعامل

معها، حتى لا نكون أسرى لآراء ومعتقدات تخرج بنا عن المفهوم النقدي أو التفسير النفسي أو العلمي للنص المبدع أو النص النقدي الحديث أيا كان.

ولهذا فإن الإنسان يحار أحيانا عندما يصادف نصا إبداعيا ما لم يكن له به إلمام من قبل وربما يكون قد وقع عليه لأول مرة أو شاهده اللحظة التي هو فيها، فيطلق عليه تقييماً أو حكماً أو رأيا، قد يحظى بالقبول لديه أو الرفض أو الاستحسان أو التقبيح، يحتار مرة أخرى لأنه لا يجد سببا لإصدار حكمه هذا، ويحتار في أمره ذلك كثيراً.

ولكن ... لو عالج الإنسان هذا الأمر بينه وبين نفسه أدرك سببا لذلك ووجد مبرراً حين يسترجع ذاكرته ويبحث في كوامن نفسه، مع التذكر والجهد والمشقة
وإعمال الفكر والنظر .. سيصل إلى السبب الذي دفعه إلى إصدار ذلك الحكم النقدي على النص الذي وقف عليه . وذلك لأنه يوجد بداخل النفس نماذج وشخوص وسمات ومثل لأشياء مثالية جمالية، قلما ندركها في حقيقة أمرنا لأنها استقرت في أعماق النفس والذاكرة والفكر والوجدان ، ونحن نتعامل معها أو نشاهدها أو تقع أبصارنا عليها من حين لآخر، ومن كل وقت لآخر، وهذا النموذج أو المثال المشار إليه والمستقر في المخيلة الذهنية هو الذي يشكل حكمنا على الأشياء المبدعة التي نتعامل معها، وتلك الأشياء المطلقة التي تقع أبصارنا عليها، أو نقف عليها، هي التي تشكل تقييمنا النقدي لها إلى حد بعيد.

فالمبدع هو الذي يشكل النص بمقتضى إبداعه ورؤيته للأشياء من خلال إحساسه ومشاعره وتعمقه للحدث الذي يصدر عنه في إبداعه النصي للتعبير عن إحساسه ومشاعره وانعكاساته التي تؤثر على فكره ومفاهيمه تجاه قضايا اجتماعية محددة أو مطلقة، تتعلق بحياة الأفراد أو المجتمعات أو الأمم والشعوب. وبذلك فإن هذا المبدع يرسم صورة قريبة من الواقع المعاش أو المشاهد الذي يتشكل لديه في صورة إبداعية تقربنا كثيرا مما نعانيه في حياتنا أو مجتمعنا، وهو بذلك يصور أو يشكل تصوره عن قضايا نحس بها ونشعر بها في حياتنا ومجتمعاتنا وتؤثر في وجودنا في هذه المجتمعات سلباً أو إيجاباً فإن تلك الصورة تصدر عن المخيلة الذهنية والحالة الوجدانية.

وبذلك فإن هذا النموذج أو المثال، الذي يتشكل في وجداننا، هو الذي يحدد قيمة الأشياء الجمالية في إصدار الحكم النقدي أي التقييم للنص المبدع، ويعطينا المنطلق أو التصور أو المعيار النقدي الذي نصدر به حكمنا على الأشياء والناس والتعامل معهم، ويحدد علاقتنا بهم

وهو الذي يعطي الحكم النقدي تميزه في إدراك الأشياء على حقيقتها عندما تقع أبصارنا عليها أو نشعر بها بحواسنا، وبذلك تعطي انطباعاً في النفس مشبعا تجاه الإبداع الشاخص أمامنا.

وقد نتساءل عن الكيفية التي يتكون بها النموذج والمثال في أنفسنا أو في أفكارنا وأذهاننا وأذواقنا ومداركنا؟ وقد نتسأل أيضاً عن قيام هذا النموذج أو المثال الذي يتشكل ويحدد حكمنا النقدي تجاه الأشياء، هل هو محض صدفة ؟ أم هو طبعي أي هبة من الخالق سبحانه وتعالى؟ أم هو شيء مكتسب من التراث والوجود والممارسة والخبرة والتجربة، والخبرات الشعورية واللاشعورية والملاحظة والتربية والبيئة والتفاعل مع الحياة ومعايشة الواقع الاجتماعي وسلوك الأفراد وتعاملهم؟

تصعب الإجابة القاطعة المحددة، في مثل هذه الأشياء التي تتعلق بالنفس والإنسان، وأن كنا نميل بأن الأقرب إجابة على ذلك التساؤل بأنه مكتسب أكثر من أنه هبة أو طبع لأن صفة الاكتساب والتعلم واضحة في تكوين النموذج والمثال وذلك خلال ملاحظة هذا الجانب في النفس الإنسانية وانطباعه بداخلها، متأثراً بالتراث والمشاهدة والملاحظة والتجربة والخبرة والممارسة والتربية، وقواعد الحياة وأسسها، وسلوك الأفراد واحترام القيم والطبائع والبيئة الثقافية المستقرة في الوجدان الاجتماعي. والفرد مستعير كل ذلك بما له من علاقات بالآخرين، إن كانوا في المجتمع نفسه الذي يعيش فيه، أو من علاقاته بمجتمعات أخرى أجنبية عنه، عايشها لفترات محدودة أو طويلة الأجل، واكتسب منها معارف وعلوم وقيم وسلوك وعادات وتقاليد وأنماط حياتية فيما يتعلق بأحواله الاجتماعية والثقافية والحضارية والاقتصادية والتراثية ... وهنا قد تتبدل النماذج والأمثلة وقد تعطي انطباعاً آخر ونمطاً معيناً، لم يكن مألوفا لدى الفرد من قبل، وربما كان ينفر منه أو يرفضه (رشوان : 1989).

كل ذلك يشكل لدينا عمقاً بعيد الغور وترسبات راسخة في النفس والأحاسيس والمشاعر عن بعض نماذج الحياة: في أشكال البشر وسحنهم، أو شئون الحياة الاجتماعية المعاشة، أو في ظواهر الجمادات وظواهر القبح والحسن والأشكال الجمالية في الفن الإبداعي، بذلك يتشكل لدينا ذوق انطباعي جمالي عن الأشياء التي تقع عليها أبصارنا، أو نتعامل معها في حياتنا وظروفنا، بكل ما تحمل من معاني الحركة والسكون، وبكل ما تموج به من معاني الجمال والحسن والقبح أو القبول أو الرفض، وذلك يجعل إصدارنا الحكم النقدي على الإبداع

الإنساني أو الحدث النصي أمراً له مدلولاته النفسية التي تؤثر في درجة مقبوليته لدينا ولدى المبدعين ومصدري الحكم النقدي المعياري على النص الماثل أمامنا.

فعندما نصدر حكما نقديا على إبداع نصي ما، أو على ظاهرة إبداعية ما، فإن ذلك يعني أننا نصدر عن نموذج أو مثال متشكل في أنفسنا مترسب، تأصل عندنا بفعل الممارسة الطويلة التي أكسبتنا التجربة الذاتية والخبرة، تجاه ظروف الواقع الاجتماعي والحياتي المعاش ، وذلك ينطبع في نفوسنا ويتشكل بلونه النموذجي المثالي ذلك، وهو الذي أمدنا بالحكم النقدي الذي نصدره .

إذن فالناقد عندما يصدر حكمه النقدي على عمل إبداعي ما، فإنما ينطلق عن نموذج أو مثال قر في نفسه، وتشكل حسب رؤيته وشعوره، وبذلك فليس هنالك حكم نقدي يصدر عن فراغ، وإنما هو حكم مؤسس على ذلك النموذج، والمثال الذي يشكل قدراً كبيراً في رؤية الناقد تلك .

(يرينا التاريخ أن الفن ارتبط منذ القدم- منذ أرسطو وأفلاطون وعهود سيطرة المسيحية في الشرق والغرب- بوظيفة الإصلاح والتثقيف وتهذيب الناشئة، وترقية الشعور، وأن هذه النظرية التي تسخر الفن لخدمة الأخلاق قد تمتعت بسيادة بقي أثرها حتى عصرنا الحالي، فاعتنقها كثيرون من النقاد والباحثين، كأمر مسلم به حتى أصبحوا لا يرون خيراً في الأدب الذي لا ينم عن فكرة أو عبرة أو عظة سامية .. واجمعوا القول في وظيفة الأدب فقالوا... (أنها تنحصر في شيء واحد، هو التهذيب...)

فمن هذا نجد أن النموذج والمثال يتكون من خلال وظيفة الفن والأدب وارتباطه بالأخلاق، وهو بذلك يعطي قيمة مثالية للفرد، وذلك ناجم عن تعامله مع القيم الجمالية للأدب والفن ونظرتهما له . وهذه القيمة الجمالية التي يرسخها الأدب والفن في النفس والوجدان، هي التي تعطي الحكم النقدي والمعياري للنص المبدع

قيمته، وتكون تلك المعيارية الحكمية النقدية نحو النص المبدع التي تصدر عن قناعة في النفس تأصلت لدى الفرد المصدر عن قناعة فنية تكونت عنه من خلال تعامله مع هذا النموذج والمثال الذي استقر في نفسه ورسخ فيها لعدة قناعات مرت عليه منذ أمد بعيد. أورثته هذا الاتجاه النفسي نحو النص المبدع المتعامل معه نقدياً.

ويقوم الإبداع بأدوار عدة في حياة الفرد تشكل لديه قناعات نفسية ووجهات نظر يستفيد منها كثيراً عند تعامله مع النص المبدع ، ففي بعض الأحيان نجد أن النص قد يتعلق بالواقع الذي يصور الحياة بكل أبعادها وشخوصها أو يرمي إلى العبرة والمثل، وفي بعض أحواله وظروفه يدعو أو يدفع إلى إظهار انتصار الفضيلة على الرذيلة أو الخير على الشر، وهو بذلك يجنح نحو الجانب الأخلاقي في سلوك الإنسان، ويدفعه بذلك إلى تصور الواقع وحياة الأفراد من هذا المنطلق. وذلك لأن الفن المثالي هو الذي يضع أمام الناس، ملا عليا مزينا لهم التسامي نحوها والتدافع إليها ومحك ذلك هو الإطار الذهني والنفسي للفرد الذي يوجه لديه تلك المثل والقيم، وعلى ذلك يمكن أن تكون وظيفة الفن والإبداع في بعض الأحيان هي إثارة الإمتاع واللذة الحسية لدى الفرد المتلقي وإثارة الغرائز الشهوانية لديه فحسب دون ميل إلى أي اعتبارات أخرى، أي أنه إمتاعي التذاذي فقط، ولا يؤدي أي وظيفة أخلاقية أو سلوكية أو تربوية، وهو بذلك يكون خطراً على الإنسان والمجتمعات الإنسانية، أو ربما يوجه الفرد إلى سلوك فاضح ومعين، أناني يتمحور نحو ذات الفرد دون اعتبار للأخرين من أفراد المجتمع، وهو بذلك الشكل يسقط رسالة الأدب والفن والإبداع الإنساني وأحياناً يجنح نحو انطلاق الخيال التهويمي إلى سماء الميتافيزيقيا، لإثارة كوامن النفس بعيداً عن الغرض والهوي والقصد، بل لمجرد التهويم الخيالي بعيد الغور، وذلك يمثل قضية(عياد: 1987) مهمة لدى النقاد، في تعاملهم مع النص الإبداعي، إذ تؤدي في أحيان كثيرة، إلى إثارة الجدل حول النص الإبداعي ومقوماته الإبداعية وجوانبه الفكرية، ومقاصده وأهدافه ومراميه.

وهذا الإيمان بالمثل الأخلاقية ومصادره النفسية يدفع إلى وضع نموذج أو مثال عند الفرد، لا يستطيع الانفكاك منه أو التخلص، ويكون هو الإطار النفسي المؤثر بقوة في الحكم النقدي أو المعيار الذي يصدر عنه دون أن يدري ذلك، وذلك لأنه حالة نفسية تراكمت لديه من تعاملات سابقة وقديمة ومعايشة لحالات اجتماعية أثرت عليه في وجدانه ونفسه فلا يستطيع منها تخلصاً، وهي بذلك تؤثر في نظرته للنص المبدع بقوة وعمق، وتوجه حكمه النقدي والمعياري نحو النص، ويكثر هذا النوع من النموذج والمثال وأثره في المعيار النقدي عند النقاد المتمرسين الحاذقين، أو عند الأفراد العاديين الذين تأثروا بالنماذج والمثل المشار إليها وسبق لهم أن عايشوها وتأثروا بها كثيراً، وتلك قضية مهمة في مفهوم النقد الأدبي أو الفني، وفي النظرة إلى الحياة عموماً، وفي بعض الأحيان فإن النص المبدع يصير مثيراً في ذهن

الناقد، والمتلقي أو متأثر الجمال وصوراً يرى فيها المثل الأعلى للإبداع الجمالي أو النص، فإذا وجد تطابقا أو شبها ما، بين ما يعانيه ويشاهده في حقيقة الواقع، وبين ما هو قائم في ذهنه وشاخص عنده في مخيلته، وفكره، وفؤاده وجوانحه ووجدانه، كان الناقد أو المتلقي، أشد استعدادا لتقدير ما يراه، ويتعامل معه من نصوص إبداعية مهما كان لونها أو شكلها أو صفتها ... وقد يكون الشيء الجميل في النص المبدع مثيراً لذكريات مفرحة أو محزنة أو مؤلمة في نفس الفرد المعاين أو الناظر أو المتلقي، وقد يثير لديه شجونا كثيرة ومتنوعة، وكل ذلك يؤثر تأثيراً مباشراً وقوياً في تعامله مع النص الإبداعي الماثل أمامه أو الشاخص أو القائم في نفسه وذكرياته، كما أن للمحيط أو الإطار الظرفي القديم، والحديث للنص المبدع، وكذلك الزمان والمكان والبيئة والظروف والملابسات تداعياتهما النفسية على الفرد، ومن ثم لها الأثر الفعال في إظهار نواحي الجمال النقدي في النص المبدع في محيطه الحكمي، وفي اطاره المعياري مما يعكس صوره ومقوماته لدى الناقد ، ويؤثر في تعامله مع النص الإبداعي.

وللاعتبارات النفعية تأثيرها أيضاً، بصورة واعية أو لا واعية، لأنها تعتبر مثيراً جمالياً يؤثر بقدرته على الفرد المتلقي أو الناقد في تعامله مع النص الإبداعي وربما أثر عليه ذلك بقدر أكبر، خاصة في الظروف الاستثنائية في المجتمع، وتلك التي تتعلق بالفرد وظروف الحياة وأحوال النفس الإنسانية .. ولذلك فإن الجميل الذي يأتلف مع مثل أخلاقي رفيع أو يجمع بين جمال المنظر والفائدة الأدبية أو الفنية، ويحقق قيمة جمالية في الإبداع الإنساني لدى المبدعين يزيد قيمة سامية في نظرنا، ويسمو بنا إلى مصاف أرحب وأوسع في حياة النفس الإنسانية وسعادتها في الحياة والمجتمع. وإن كنا في بعض الأحيان لا نخضع لهذه الاعتبارات المثيرة للجمال في النص المبدع، أو في تعاملنا معه، حكما نقدياً، ومعيارياً، وإنما نتأثر به في عمومياته، وقد يتأثر به عامة الناس عند تلقيهم للإبداع الإنساني من المبدعين في جوانب الإبداع المختلفة والمتنوعة.

ولا يقف تأثير النموذج والمثال القائم في النفس، عند هذا الحد في تأثيره على الحكم النقدي أو المعياري في تعاملنا مع الإبداع الأدبي أو الفني أو الشعري، وإنما يتجاوز ذلك إلى أن ننظر في كيفية تكون هذا النموذج أو المثال القائم في النفس وما يؤثر فيهما، فمن تلك المؤثرات القيم والتنشئة الاجتماعية والعلاقات الإنسانية والسلوك والطبائع ،ومثاليات النفس الإنسانية ومواقفها، إلى عير ذلك من المثيرات التي تتدافع في داخل نفسية الفرد الإنساني

لتكسبه اتجاها نمطيا راسخا نحو الأشياء باعتباراتها المختلفة ،ومفهوماتها المتعددة والمتنوعة، وربما تؤثر تأثيرا بالغا في نفسية الفرد الإنساني، مما يجعل تصوره للحياة وتعامله معها مرتبطاً بقدر محدد من الرؤى والسلوك الذي نطلق عليه الاتجاه النفسي، إذن فإن تشكيل النموذج والمثال في ذهن الفرد نابع من اتجاهاته النفسية نحو القضايا المادية والمعنوية.

يتكون اتجاه الفرد في الحياة ونظرته لها ، بتفاعل استجابات عديدة ومختلفة ومتباينة، وقد تكون متحدة ومتوحدة، وبذلك تؤثر على سلوكه وقيمه وطبائعه وعاداته وتقاليده .. وقد تستقر هذه الاستجابات على نمط سلوكي واحد ورتيب ومستمر، وقد تتكون وتتغير نتيجة لتفاعلات متباينة ومختلفة في حياة الفرد وعلاقاته الاجتماعية، وقد تتغير وتتبدل نتيجة لتحولات ظرفية خدمية أو حياتية أو اقتصادية أو ثقافية أو تراثية أو حضارية أو تعليمية، أو نتيجة لارتباطات في العمل أو العلاقات الاجتماعية. وهو بذلك يكتسب سلوكا يتصف بالثبات النسبي وفي شكل منتظم يمكن تبينه وقياسه وهو ما عرفه علماء النفس بالاتجاه النفسي (أخرس والشيخ : 2005)، وبهذا الفهم فإن الاتجاه النفسي يؤدي دوراً وظيفياً في رسم الصورة الذهنية لمفهوم النموذج والمثال من خلال العوامل المعرفية أو الشعورية أو الأدائية، فهذه العناصر الثلاثة لها أهميتها القصوى في تكوين الاتجاه النفسي، تشير الاتجاهات إلى نزعات تؤهل الفرد للاستجابة بأنماط سلوكية محددة نحو أشخاص أو أفكار أو حوادث أو أوضاع أو أشياء معينة وتؤلف نظاماً معقداً تتفاعل فيه مجموعة كبيرة من المتغيرات المتنوعة (رشوان : 1984).

مكونات الاتجاهات:

تتباين وتتعدد وتتنوع هذه المكونات عند الانسان الفرد، وبذلك تتباين وتختلف وتتنوع نظرته الاجتماعية في علاقاته مع الافراد في المجتمع وتؤثر فيه بوجودها إلى قدر كبير في تعامله مع أنماط الحياة المختلفة من إنسان أو حيوان أو جماد أو نبات ظاهر طبيعية أو كونية، كما تعكس الاتجاهات النفسية نوعاً من التجربة الذاتية التي يستطيع بها الفرد أن يصدر حكمه على الاشياء التي يتعامل معها في المجتمع أو في شئون الحياة المختلفة ومظاهرها، مما يكسبه قدراً كبيراً في تعامله النقدي وإصدار الحكم أو المعيار تجاه ما يتعامل معه أو يقع بصره عليه في محيطه الذي يعيش فيه أو يتواجد به، وهو بذلك يكون محكوماً في بعض الجوانب – بمؤثرات استقرت في دواخله لا يستطيع منها خلاصاً، وهي بذلك تدفع به إلى التعامل مع النص الابداعي دون أن يدرك دور هذه في إصدار الحكم أو المعيار. ولذلك فإننا

نتجه بعمق نحو علم النفس لنحاول أن نقف على حقيقة مكونات الاتجاه النفسي وتداعياتها في الحكم المعياري تجاه النص.

1. المكون الوجداني:

يشير هذا المكون إلى أسلوب شعوري عام، يؤثر في استجابة قبول الموضوع أو رفضه، وقد يكون هذا الشعور غير منطقي على الاطلاق في بعض الاحيان دون وعي من الشخص الذي يتعامل مع النص النقدي معيارياً، فقد يقبل الطالب على مادة الرياضيات أو يرفضها دون وعي منه للمسوغات التي دفعته إلى الاستجابة بالقبول أو الرفض.

ولكننا من خلال نظرتنا لطبيعة النموذج والمثال لدى الفرد المتلقي أو المتعامل مع النص نجتهد أن نجد له مسوغاً أو مبرراً في الحالتين، في حالة قبوله وفي حالة رفضه، فقد لا يدري الطالب سببا لذلك، ولكن إذا أمعنّا النظر جيداً وتعاملنا مع الحكم المعياري تجاه النص سنجد له مسوغاً أو مبرراً فيما استقر في هذا الفرد وأعماق نفسه نتيجة لخبرات شعورية استقرت في قرارة نفسه دون أن يدري، وعند لحظة النص المطلوب الحكم عليه طفت إلى السطح وأثرت بتفاعلاتها في إصدار الحكم النقدي المعياري تجاه النص .

وهناك عدة مؤثرات في مثل هذا التأثير الحكمي تجاه النص الذي أصدر الحكم المعياري تجاهه. فقد تكون المثيرات إنسانية نابعة من عملية التنشئة الاجتماعية للفرد التي عبرها يكتسب استجابات تنطوي عليها قيم وأفكار ورؤى تشكل مرتكزاً لنمو ذاته وتبلور ملامح سلوكه العام، فحين يكره الشخص هذه المادة لأسباب مقنعة أو غير مقنعة إنما يستمد هذه الخبرة الشعورية (الكراهية) من تراكمات نفسية استقرت في أعماقه وبذلك تكون ارتباط وثيق تجاه هذا النص مما شكل لديه قناعة في الحكم النصي المعياري دون أن يقصد، أو يرجع ذلك لتراكمات اجتماعية وعلاقات إنسانية أو تصرفات تعامليه استقرت في أعماق نفسه وبذلك طفت إلى السطح عندما تماثل لديه النموذج والمثال فأصدر المعيار الحكمي دون وعي منه تجاه النص.

وكل تلك الظواهر والأنماط تشكل مكونا عاطفيا يؤثر بفاعلية في وجدان الإنسان ونفسياته وبذلك فإنه عندما يتعامل مع نص ما في الحياة فإن كل تلك التداعيات تطل بفاعليتها لتؤثر في الحكم المعياري للفرد المتلقي تجاه النص المراد

الحكم عليه، وبذلك يتحقق النموذج والمثال القائم في النفس بفاعلية أكبر ويؤثر بوجوده في ذلك بقوة .

2. المكون المعرفي :

يدل هذا المكون على الجوانب المعرفية التي تنطوي عليها وجهة نظر الفرد ذات العلاقة بموقفه من موضوع هذا الاتجاه... وهذا المكون له تأثير كبير في نوع الحكم النقدي أو المعياري، الذي يصدر من الفرد المتلقي للنص .. فكلما كان لديه معرفة به وبما يحيط به فإن حكمه النقدي أو المعياري تكون استجابته كبيرة ومؤثرة وصادقة إلى قدر كبير.

إن الخبرات المعرفية المكتسبة توسع من الإطار الإدراكي للفرد مما يمكنه من استيعاب للواقع الماثل والتعامل معه وإصدار الحكم على ما ينبغي الحكم عليه (النص أو غيره من الأشياء)، وفي ذات الوقت يتعامل هذا العنصر المعرفي مع العنصر الوجداني تناسقاً أو تكاملاً أو حتى سيطرة وضبطا لتتجه الوظيفة النفسية نحو إنتاج السلوك المناسب للحالة (النص النقدي).

فمثلاً نجد أنفسنا في بعض الأحيان نندفع نحو تقبل مادة دراسية ونحبها كثيراً، وفي الأحيان نكره مواد أخرى ونرفض دراستها حتى ولو كانت حيوية ومهمة للفرد وللمجتمع وللأمة ،وقد تكون هذه الكراهية مبنية على عدة عوامل، أو مؤسسة على عدة وجهات نظر تتعلق بظروف ذلك الفرد وأحواله وعلاقاته الاجتماعية وتعاملاته مع الآخرين، وهي أيضا مرتبطة لديه بظروف وجدانية أو تفاعلات مرتبطة ببعض الأفراد الذين يمثلون تلك المواد، التي نعتبرها نحن هنا نصا نقديا نتعامل معه في مادتنا هذه.. وبذلك يتناصر المكون المعرفي مع الوجداني لكي يصدر الفرد حكمه على تلك المواد لما تعلق بها من أسباب وظواهر وبينات. وهكذا تتناصر العناصر الوجدانية والمعرفية لتعطي تفسيرا لهذا الحكم النصي أو المعياري.

3. المكون السلوكي:

هذا المكون له فاعليته في تأصيل النموذج والمثال في دواخل الإنسان نسبة لأنه يأتي مكملاً لسابقيه الوجداني والمعرفي ليرسخ الاتجاه النفسي ويبرز بقوة كنمط سلوكي متكامل له دلالته الأدائية أو الحركية أو المعنوية، ويمثل بذلك موقفا يمكن

ملاحظته أو حتى قياسه بمعايير معلومة . وهذا الاتجاه يشير إلى نزعة الفرد للسلوك وفق أنماط محددة في أوضاع معينة ،وهي التي تحدد نظرة الفرد أو المتلقي أو المتعامل مع النص المبدع، ويعطي نوع الحكم النقدي أو المعياري تجاه النص وفق هذا الاتجاه الاجتماعي المحدد النمط، وقد يؤثر هذا النمط السلوكي في نوع الحكم النقدي المعياري تجاه النص .

ومن هنا يكون الحكم المعياري في التعامل النصي متأثرا بتلك الخلفية النفسية بالدوافع التي بدرت من الفرد وأصبح أسيراً لها إلا أنه لو أمعن النظر لاستطاع أن
يجد مسوغا لذلك أو مبرراً له، وذلك مما استقر في وجدانه من اتجاه نفسي معين حدد هذا التصرف الحكمي المعياري، وبما أن هذا الاتجاه النفسي مكتسب من البيئة كما أسلفنا فإنه يتعين علينا النظر في كيفية اكتساب هذه الاتجاه النفسي.

اكتساب الاتجاهات:

نتساءل هنا عن كيفية اكتساب الاتجاهات التي تؤثر في النفس الإنسانية وتوجه تصرفاتها وميولها وقناعاتها ومعرفتها بالبيئة المحيطة بها .. كيف يتم ذلك؟ وعلى أي أسس يرتكز ويقوم ويعتمد؟ وكيف نصل إلى ذلك ونحصل عليه ؟ فالعلم الذي نحصل عليه تجاه الأشياء لحظة مشاهدتها أو التعامل معها، هو الذي يكسبنا المقدرة على إصدار الحكم النقدي أو المعياري تجاه النص المبدع أو المشاهد أو المتعامل معه في سائر أوضاعه وجمالياته. وبذلك فالاكتساب الذي نحصل عليه من تعاملنا مع الأشياء في الحياة والمجتمع والعلائق الإنسانية والخلقية للأشياء له دور كبير وفعال في تشكيل الحكم النصي متأثرا بالنموذج والمثال.

وأهم مقوم مباشر في عملية الاكتساب هو التعلم في البيئة، سواءً أكانت مدرسية أو اجتماعية، والتعلم من الحياة والتعامل مع مظاهرها المختلفة، حيث نوظف كل ذلك في سبيل أن نكتسب معرفة عالية القيمة وخبرة ثرة لها وقع في النفس والوجدان، وبذلك يسهل إصدار الحكم النقدي على النص المعالج الذي تشكل أمامنا.

فإن الفرد الإنساني يكتسب اتجاهات بالتعلم عبر عملية التنشئة الاجتماعية وقد يتم تعلم بعض الاتجاهات على نحو لا شعوري أو غير قصدي، إن شعور الفرد
بالميل إلى بعض الأفراد أو الجماعات الذين يشتركون معه في اللغة والثقافة، والدين والعرق والسحنة .. يتكون في كثير من الأحيان دون معرفة كبيرة بالأسس أو القواعد التي أدت إلى مثل هذا الشعور أو المقابل (أخرس والشيخ : 2005).

فالمؤثر الذي يؤثر في إصدار الحكم النقدي في بعض الأحيان، ينحدر من ظروف الفرد الاجتماعية والتنشئة ولتربية والتكامل مع الأفراد في محيطه الذي يعيش فيه، وبذلك يكتسب قيماً ومثلاً واتجاهات. وبذلك فإن الاتجاهات تؤثر في التعامل المعرفي وإصدار الحكم النقدي أو المعياري على النص، وبذلك يصبح هذا

الحكم خاضعاً لتلك المعارف والقيم المكتسبة ومتأثرا بها لأن الاتجاهات في حقيقتها أنماط سلوكية يمكن اكتسابها وتعديلها بالتعلم، وتخضع للمبادئ والقوانين التي تحكم أنماط السلوك الأخرى، فقد تتكون بعض الاتجاهات بالملاحظة والتقليد والنموذج المادي أو الذهني. وتتناصر هذه الاتجاهات النفسية وتتفاعل مع عناصر أخرى لتصوغ مفهوم الفرد عن ذاته الذي يؤثر بدوره في إدراكه العام ورؤيته وحكمه على الأشياء (توق وعدس : 1984).

مفهوم الذات وعلاقته بالحكم النقدي :

إن مفهوم الذات هو مفهوم محوري في علم النفس وتلتزم به بعض نظرياته إطاراً يتشكل فيه السلوك الإنساني وكل ما يصدر عنه من استجابات معرفية أو وجدانية أو أدائية. (1959 ،Rogers) كما أن النسق القيمي يمثل مرتكزاً أساسياً في مكونات مفهوم الذات ومحدداً رئيساً للسلوك الإنساني، فلكل فرد نظام قيمي هرمي يحكم سلوكه، أو يعكس بشكل أو أخر حاجاته واهتماماته والنظام الاجتماعي والثقافي الذي يعيش فيه... وهو بذلك يؤثر في الحكم النقدي تجاه النص المبدع فيما يتعلق بالنموذج والمثال المؤثر في هذا الحكم النقدي ... لأن القيم تحكمها مجموعة من المبادئ السيكولوجية، والخبرات التي يكتسبها في تعامله المستمر مع الحياة الاجتماعية.

وقد يكتسب الفرد قيمة، كما يكتسب أنماط سلوك الآخرين بالملاحظة والتقليد والمشاهدة وهذه من أهم مقومات النقد التي تكسب الناقد عوامل ثرة أثناء تعامله مع النص المبدع وإصدار الحكم عليه ، ولهذا نجد أن القيم تتأثر بالعوامل التي تؤثر فيها سلباً أو إيجاباً وعلى ذلك يكون التعبير حتى في إصدار الحكم النقدي على النص الإبداعي أيا كان .. كما أن الأفراد يتباينون في قيمهم كالجنس والسن وتطل الفروق الفردية في الذكاء والقدرات والخبرات التعلمية المكتسبة والوضع الاقتصادي ظروف مختلفة ومتباينة وقد تكون متشابهة ومتماثلة، وتؤدي هذه الممارسة إلى تنمية الأثر الناتج عن الحدث وإصدار الحكم النقدي المعياري عليه، ويدفع ذلك إلى تنمية الحدث في الجهاز العصبي للكائن الحي، لأن الاكتساب

يعني التخزين في الذاكرة وهو يتضمن بناء الأثر المنعكس من المشاهد والملاحظ تجاه النص المتعامل معه، وبذلك ومنه يتم إصدار الحكم النقدي تجاه هذا الأثر والتعامل معه .. ويشير مصطلح التذكر إلى الاحتفاظ بالأثر المكتسب عبر فترة وجيزة من الزمن، ولذلك فإن التذكر هذا يعتبر من أهم مقومات النموذج والمثال لأنه يتضح بواسطة عمليات المخرجات الذاكرية وهذا ما يسمى بالاسترجاع أي التداعي التذكري الذي يطل عندما تتماثل المشاهد والمناظر وتتشابه في النص المتعامل معه وبذلك تصبح عملية الحكم النقدي أو المعياري التي تصدر عن المتلقي أو الناقد ما هي إلا عملية استرجاع تذكري يجتهد الذهن في استخراجها وتحاول الذاكرة أن تصل حقيقة التشابه الذي يغلف النص المبدع المائل أمامنا ونحاول التعامل معه .. وهذا الاسترجاع التذكري له قيمة عالية في هذه العملية النقدية المراد الحكم عليها تجاه النص وذلك يعطي قيمة كبرى لهذا الحكم عندما تستطيع الذاكرة أن تحدد النص المشار إليه وتماثله أو تشابهه بما انطبع في ذاكرة الفرد الإنسان أو الناقد متفاعلا بظروف الإبداع والتناول ولحظة الميلاد الإبداعي والعطاء . ولهذا فإن عملية الاسترجاع التذكري بوظيفتها النفسية هذه تعطي قيمة نقدية عالية في هذا الموضوع الذي نعالجه هنا.

ولذلك فإن من خصائص الاكتساب التذكري أو التخزيني الذهني في هذا الموضوع:

أ. أنه يعطي انتقاء وتميزا للمثير الذي يحدد معالجة النص المبدع والتعامل معه.

ب. كما أنه يعطي تميزاً كبيراً وعالياً للارتباط بين المثيرات والاستجابات تجاه النص المبدع بما يحقق حكما نقديا جيدا للنص المبدع في هذا المقام.

ج. ثم أن الاستجابة لتداعيات النص المبدع تتوافر بصورة أكبر هنا لأن النص يرمي بعمقه في الذاكرة حتى تستطيع أن تعطي جوابا شافيا لما أثير فيها من مقومات النص المبدع الذي وقفت النفس الإنسانية تجاهه عاجزة عن التفسير في لحظة المشاهدة والملاحظة للنص المبدع والوقوف على أحواله مقتضيات مشخصاته.

وبذلك يصبح التعامل مع النص المبدع الشاخص أمام النفس مكتنفا بظروفه وملابساته القارة فيه والمسيطرة عليه والمحيطة به التي ظل بها حياً وموجوداً بالذاكرة، وكذلك فإن النفس تعطي تفسيرا واضحا بعد أن يكون التبس عليها ذلك في أول الأمر. فاسترجاع – المعلومة أو الصورة الذي هو مستوى من العمليات الذهنية – يساعد في بلورة الحكم النقدي للنص المبدع

بكل أبعاده دون لبس أو غموض، ولهذا نجد أن عنصر تلقي الاستجابة وتعلمها وإيداعها في الذاكرة يحدد مسوغات النص المبدع ومبرراته وحدود إبداعه ومدى استقراره في الذاكرة ، أي أن تفاعل عوامل الاكتساب الداخلية (التذكر) مع العوامل الخارجية هو من الأهمية الكبرى للتعامل مع النص المبدع لأنها تعطي مردوداً عالياً لجانب التذكر للنص المبدع ولعوامل الإبداع النقدي والنصي .

وعلى ضوء ذلك نجد أن اتجاه النموذج والمثال يعتبر من أحدث موضوعات النقد الحديث والمعاصر، لسماته التي يتصف بها ومقوماته التي ينفرد بها، بحيث والمثال ف تحليل النص النقدي في ضوء النفس عندما نتعامل مع مفرداته النصية نجد أننا نتعامل مع مفردات نقدية عالية الحداثة والمعاصرة لما تحتوي عليه تلك الاتجاهات من عناصر موضوعية تصدر عن النص المبدع، إن كانت في صفاته المعنوية أو المحسوسة المادية التي نتعامل معها عندما نريد أن نعالج نصا مبدعا أما بالتقييم أو التفسير أو التليل والدراسة وإصدار الحكم النقدي عليه.

فهنالك نصوص مادية نتعامل معها وفق مقتضيات حياتية، أو وفق مقتضيات تراثية مشبعة بالحضارات التراثية القديمة أو المحدثة والمتجددة في المجتمعات التي تطل منها. وحتى في تعاملنا مع النص المبدع، في ثقافات الأمم والشعوب وحضارتها وفنونها وآدابها المبدعة، أو فيما تقع عليه أنظارنا من الفنون التراثية وهذا ما يطلق عليه علماء النفس بالعقل الجمعي للأمة، أي مستودع حكمتها وتجربتها المحسوسة والمعنوية، والانفعال بها والتعامل معها بحسبانها فنونا وآدابا إنسانية وتراثا انسانيا مشتركا، أو بحسبانها ثقافات وحضارات ترائية إنسانية يشترك فيها الجميع بالإسهام أو التقييم والدراسة والتحليل والتفسير والتعامل معها برؤية فنية واقعية عالية القيمة والمردود والتأثير.

وهكذا نجد اتصالاً فعلياً قوياً بين هذا الاتجاه النقدي – النموذج والمثال – وبين علم النفس في مجالاته المعرفية والاجتماعية والتربوية التي تتناول مقتضيات هذا

الاتجاه بوضوح مما يشكل رؤية كاملة ويعطي بعدا عميقا لقضايا نقدية مستجدة ومعاصرة ومتجددة ومتواصلة العطاء عبر الزمان والمكان ومتفاعلة مع الإنسان وظروفه وأحو اله وتطوراته ومستجداته وماضيه ومكتسباته التي استقرت داخله.

المراجع العربية

1) ثائر حسن حاسم (1987) . الإبداع الشعري في النقد العربي إلى نهاية القرن السابع الهجري، ط أولى، بيروت، لبنان، تأليف.

2) رافع النصر الزعول، عماد الدين عبد الرحيم الزعول (2003). علم النفس المعرفي، دار الشروق، الأردن.

3) روزغريب (1983). النقد الجمالي وأثره في النقد العربي، ط ثانية، بيروت.

4) شكري عياد (1987). دائرة الإبداع، مقدمة في أصول النقد، القاهرة .

5) عبد المجيد رشوان (1984). علم النفس التربوي، ط أولى، الأردن.

6) عز الدين منصور (1985). دراسات نقدية ونماذج حول بعض قضايا الشعر المعاصر، ط أولى، بيروت، لبنان .

7) فاخر عاقل (1985). علم النفس التربوي، عمان، الأردن.

8) كلارنس، أ. نيول، ترجمة محمد الحاج خليل، طه الحاج الياس (1993). السلوك الإنساني في الإدارة التربوية ، الأردن.

9) محي الدين توق، وعبدالرحمن عدس (1984). أساسيات علم النفس التربوي، عمان، الأردن .

10) نائل أخرس، وتاج السر الشيخ (05()2). علم النفس التربوي، دار كنوز المعرفة، جدة .

11) نون أ. وينتيج : نظريات ومشكلات في سيكولوجية التعلم ترجمة مجموعة من أساتذة جامعة عين شمس بالمنصورة كلية التربية مصر .